

بقلم الدكتور ياسين خليل

تمثل الذرية المنطقية اتجاهًا فلسفيًا معاصرًا بدأ على يد كل من الفيلسوفين برتراند رسل ولودفيج فيتجنشتاين، واتخذ هذا التيار الفلسفي مكان الصدارة في الحقلين المنطقي والفلسفي، فأثر تأثيراً بليغاً في الفلسفة المعاصرة، مبيناً امكانية وضع طريقة علمية في الفلسفة⁽¹⁾ تعمل على تطوير المفاهيم الفلسفية وتوسيع مدارك الفكر الفلسفي ليخدم العلم والعلماء، بعيداً عن الجدل والتأملات الميتافيزيقية. فكان التحليل رسل في اكتشاف أنواع الذرات (أو الوحدات الأولية) التي تتألف منها التراكيب المنطقية⁽²⁾. ولم تكن فلسفة الذرية المنطقية من وضع رسل وحده، بل اننا نجد الكثير من الآراء والافكار البناءة عند فيتجنشتاين الذي كان همه تحليل اللغة لمعرفة العناصر أو الرموز الأولية وصلتها بالعالم الخارجي، وبناء طريقة تحليلية لمعرفة العناصر المكونة للقضايا الميتافيزيقية واثبات سخفها. ولا نريد هنا دراسة فلسفة فيتجنشتاين، لأن ذلك يحتاج إلى تحليل خاص لما له من مكانة منفردة في تاريخ الفلسفة المعاصرة، ولما كنا نختص بالبحث جانباً واحداً من جوانب متعددة في فلسفة برتراند رسل، محاولين بذلك معرفة الافكار الأساسية لهذه الحركة الفلسفية التي غزت التفكير الانكليزي بعد الحرب العالمية الاولى،

1) Russell, B., Our Knowledge of the external World

2) Russell, B., Logic and Knowledge P. 189

وكان لها أكبر الأثر في تحديد اتجاهات الفلسفة التحليلية المعاصرة في بريطانيا وألمانيا والنمسا وأمريكا. ولكن هذا التحديد في الدراسة والبحث لا يمنع من بيان الآثار المهمة التي تركها فتحنشتاين في هذا التيار الفلسفي لتوضيح المعالم الفلسفية لهذه النظرية عند رسل.

يرجع الفضل في تسمية هذا التيار الفيلسفي باسم « الذرية المنطقية » إلى رسل نفسه ، ففي بداية سنة ١٩١٨ قام رسل بالقاء محاضرات في لندن نشرت في مجلة « The Monist » بين سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩١٩ . وتتألف هذه المحاضرات من ثمانية موضوعات فلسفية ومنطقية مهمة اشتملت عليها مجموعة المحاضرات ، وهي تبين دون شك محاولات رسل في الخروج بنظرية جديدة استقى معلوماتها الأولية مما تعلمه من فتحنشتاين ، عندما كان الأخير طالباً وصديقاً لرسول . فاشتملت هذه المحاضرات على دراسة الوقائع « Facts » والقضايا ، وتقسيم القضايا إلى بسيطة أو ذرية Atomic Propositions ومركبة أو جزئية Molecular Propositions ، والقضايا العامة General Propositions ، والعبارات الوصفية ونظرية الأنماط المنطقية والميتافيزيقا .

يتظهر من هذا العرض للموضوعات التي يتناولها رسل في نظريته أنه اختار بعض المفاهيم الجديدة مثل « القضايا الذرية والجزئية » ، وكأنه يريد بذلك الوصول إلى العناصر الأولية البسيطة في المعرفة المنطقية والفلسفية ، وهو في عمله هذا يشبه عمل عالم التحليل في المادة ، مستهدفاً الوصول إلى معرفة العناصر الأولية البسيطة التي تكون المواد . ولا تقصد بالعناصر الأولية في المادة الإلكترونات والبروتونات وغيرها ، بل الذرات وما ينتج عنها من جزيئات تتألف من أكثر من ذرة ، لأن الذرة هي العنصر المميز للمادة ، بينما تتشابه الإلكترونات في جميع المواد . فالذرة في المادة تتمتع بخواص تختلف باختلاف المادة ، فهي الوحدة الأساسية . إن تحليل اللغة إلى وحداتها الأساسية يشبه الحد كبير تحليل المادة ، فاللغة ما هي إلا نظام مؤلف من رموز ترتب تبعاً لقواعد لغوية ، صرفية أو نحوية ، وتؤدي غرضاً اجتماعياً وفكرياً هو النقل الفكري والعاطفي بين الناس ، وإن تحليل هذه اللغة إلى رموزها المعقدة ثم تحليل الرموز المعقدة إلى رموز أقل تعقيداً ، ثم تحليل هذه إلى رموز أبسط ثم أبسط وهكذا ، يقودنا أخيراً إلى معرفة الرموز البسيطة التي لا تتحلل

الى رموز ايسر منها، وهذه الرموز هي الذرات . ويختلف التحليل باختلاف الهدف الذي يرمي اليه الباحث ، ففي علم اللغة مثلاً يختلف التحليل في مستوى الجمل والقضايا عنه في مستوى الكلمات ، ويختلف هذا التحليل في مستوى الاصوات . فالذرات او الوحدات الاساسية في مستوى الجمل والقضايا هي العبارات البسيطة التي لا يمكن تحليلها الى قضايا وجمل اصغر منها . اما الذرات في مستوى الكلمات فهي العبارات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها الى كلمات اصغر منها . اما الذرات في مستوى الاصوات فهي الوحدات الصوتية « Phonem » التي لا يمكن تجزئتها الى وحدات صوتية اصغر منها ^(١) . اما في التحليل المنطقي فان الامر لا يختلف كثيراً ، فالذرات عند رسل هي المفردات Particulars مثل المحمولات والعلاقات والالوان . وغيرها . وتكون الذرات في فلسفة النظرية المنطقية قضايا بسيطة كذلك لاسيما وان القضية النظرية هي الوحدة الاساسية في المعرفة وان تجزئتها الى اصغر منها يفقدها صفتها الاساسية . ان السبب الذي دعا رسل الى تسمية مذهبه « بالنظرية المنطقية » هو ان الذرات التي يريد الوصول اليها والتي ينتهي عندها التحليل هي الذرات المنطقية وليست الذرات الفيزيائية . ان بعض هذه الذرات يسبها رسل « مفردات » مثال ذلك الاصوات وبقع الالوان والمحمولات والعلاقات وغيرها ^(٢) .

من هذا التحليل البسيط نستطيع الآن تحديد « مفهوم النظرية المنطقية » بشكل عام وشامل يعرض مهمة الفيلسوف وطبيعة البحث . ان مهمة الفيلسوف هي التحليل او تحليل الفكر الى عناصره الاولى البسيطة ، فمن المعروف في نظرية المعرفة عند دافيد هيوم ان العناصر الاساسية المكونة للمعرفة هي الانطباعات impressions والافكار ideas ، باعتبارها اوليات الفكر الانساني ، وان المعرفة الانسانية تتركب من هذه العناصر ، فهي على هذا الاساس بمثابة الذرات في المعرفة . اما بالنسبة لرسل في نظريته ، فان الوحدات الاساسية في المعرفة ليست الافكار والانطباعات ، بل المفردات والقضايا البسيطة . ولما كان المنطق الذي اسسه رسل يعتمد على القضايا ، فان اهتمامه في تحليل نظرية المعرفة ينصب ايضاً على القضايا وما لها من صلة بالعالم الخارجي ، وهذا معناه ان علينا ان ندخل من باب

(١) انظر مقالتي في مجلة كلية الآداب - العدد الخامس سنة ١٩٦٢ تحت عنوان : منطق اللغة .

(2) Russell, B., Logic and Knowledge P. 179

المنطق لفهم نظرية المعرفة .

ونظرية الذرية المنطقية وثيقة الصلة بتفكير رسل الرياضي ، فهي كما اشار في محاضراته الاولى المنشورة في The Morist ، اجبرته على اعتناقه لها من خلال تفكيره في فلسفة الرياضيات (1) . ان منهج رسل في اقامة البناء الرياضي او المنطقي يعتمد على اختيار افكار او رموز اولية بسيطة تتكون منها المبادئ ، والبدهييات او القضايا ، ومن هذه البدهييات والمبادئ ، يشتق الرياضيات . اما في الفلسفة الذرية فان الطريقة لا تختلف كثيراً ، لان رسل وفتحشتاين يبحثان عن الذرات او الاوليات التي تتألف منها المعرفة ، وهذه الذرات هي المفردات ، ثم يحاول كل منهما بطريقته الخاصة بناء اللغة والمعرفة . ان هذا العمل الفلسفي يرتبط كذلك بالاعتقاد ان تركيب المنطق يعطينا صورة عن العالم ، وان العالم له هذا البناء المنطقي الذي ومنع رسل ووايتهد اصوله في كتاب « اصول الرياضيات Principia Mathematica . ومن الجدير بالذكر هنا ان هذا المنطق يهتم بالقضايا ودالات القضايا والثبات والعلاقات وهي الاجزاء الضرورية في المنطق الرياضي والتي تساعدنا مبادئها ومفاهيمها لاشتقاق علم الرياضيات . ولما كانت المعرفة الانسانية غير ممكنة التعبير عنها بالمفردات او الحدود ، فان القضايا هي الاصول الأولية للتعبير عن المعرفة . وهذا هو السبب الذي جعل رسل يحلل في محاضراته الاولى « الوقائع والقضايا » ، ويعتبر المفردات في العالم الخارجي جزءاً من الوقائع ، ويعتبر الاسماء والحدود جزءاً من القضايا . واذا سلمنا ان القضايا هي الاساس في المنطق ، فاننا بذلك نتوصل الى تحديد مفهوم « الذرية المنطقية » باعتبارها تياراً فلسفياً اولاً ونظرية تحليلية ثانياً . فاسم هذا التيار مشتق من معالجة النظرية للقضايا باعتبارها الوحدات الاساسية في المعرفة اولاً وعنصراً منطقياً مهماً ثانياً . فهي على هذا الاساس ذرية من جهة العناصر الأولية ومنطقية من جهة القضايا وتحليلها .

ومن الضروري ان نشير هنا الى الاسباب الموجبة لظهور هذه النظرية ، ومعرفة التقليد الفلسفي الذي كان سبباً ائماً آنذاك في الجامعات الانكليزية ، لأن في ذلك المفتاح الذي يكشف لنا عن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء نظرية الذرية المنطقية . فلقد بدأ رسل

1) Ibid., P. 178

حياته الفلسفية بأن اعتبر هيجل أعمق الفلاسفة فكراً وأوسعهم معرفة ومنهجاً ، لاسيما وأن الفلسفة الهيجلية قد احتلت في أواخر القرن التاسع عشر في إنكلترا مكاناً بارزاً ، واتجهت الفلسفة الإنكليزية التي امتازت بكونها تجريبية دائماً إلى المثالية ، فأصدر برادلي كتابه المعروف في المنطق « مبادئ المنطق »⁽¹⁾ وكتاباه في الميتافيزيقا « المظهر والحقيقة » ، فمض في الأول نظريته للميتافيزيقية وعلاقتها بالقضايا والمبادئ المنطقية ، بينما أكد في الكتاب الثاني على وحدة الحقيقة غير المجزأة . ولكن رسل سرعان ما اتجه بفعل ممارسته ودراسته لرياضيات إلى طريق آخر يتعد عن الفلسفة الهيجلية ، وكان من أسباب تغيير اتجاهه الفلسفي أنه قرأ كتاب هيجل في المنطق⁽²⁾ الذي وجد فيه عدم دقة ومعرفة في أصول الرياضيات ، فاعتبر ما جاء في هذا الكتاب مجرد كلام فارغ ، وبذلك انفض عن هيجل ، ليجد طريقاً فلسفياً جديداً . وكان أهم حدث ظهر في حياة رسل الفكرية هو تعرفه على ما توصل إليه بيانو « G. Peano »⁽³⁾ وتلاميذته في حقل المنطق والرياضيات واستعمالهم لطريقة رمزية دقيقة ، فكان ذلك أول الطريق الذي أدى بعد ذلك إلى تكوين نظريته الرياضية والفلسفية . بدأت بعد ذلك مرحلة جديدة ذات وجهين : تمثل الوجه الأول في محاولات رسل لبناء الرياضيات من مبادئ ومفاهيم منطوية⁽⁴⁾ ، وتمثل الوجه الثاني في رفضه للنظرة الشاملة لوجود وتأكيد التحليل في معرفة الجزئيات⁽⁵⁾ . وهكذا كانت هذه المرحلة متميزة بطابعين : الأول ويتصل بأسس الرياضيات ، ويتصل الثاني بأسس المعرفة ، فكان في الأول منطقياً وفي الثاني تجريبياً .

1) Bradley, F. H., The Principles of Logic 1885

2) Bradley, F. H., Appearance and Reality 1895

3) Hegel's Logik

4) التي رسل يعلم الرياضيات الإيطالي بيانو في المؤتمر الدولي للفلسفة الذي انعقد في باريس سنة

1900 ، وجررت مناقشات مهمة حول أسس الرياضيات وطبيعتها ، فنظّر رسل من بيانو أن يعلمه على مؤلفاته التي انكب رسل على دراستها ، فأدرك أهميتها في الدراسات الرياضية والفلسفة معاً .

5) Russell, B., The Principles of Mathematics 1903

كانت محاولة رسل في هذا الكتاب هي أن يخضع الرياضيات إلى المنطق ، ويستقى علم الرياضيات من مبادئ ومفاهيم منطوية ، ونظرت هذه المحاولة بالاشتراك مع الفريد نورت وإيتير في كتابها أصول الرياضيات Principia Mathematica

انظر بدايات تفكيره التجريبي في كتابه : Russell, B., The Problems of Philosophy

لم يكن رسل في فلسفته ميتافيزيقياً أو مثالياً بالمعنى المألوف في الفلسفة ، وإن كانت فلسفته النظرية المنطقية تحتوي باعترافه على نوع معين من الميتافيزيقا⁽¹⁾ ، ولم تكن نظريته إلى الوجود أو العالم الخارجي شسبية بنظره فلاسفة المثالية في اعتقادهم أن الكلي هو الحقيقة ، وأن الحقيقة لا تكون في معرفة الجزئيات . ففي فلسفته نفس ثورة فلسفية تعتمد التحليل والنظر الفلسفية إلى المفردات والجزئيات ، هي بلا شك ثورة على الفلسفة التي سادت في تلك الفترة .

فكان رسل يمثل بداية تيار التجريبية أو الواقعية الجديدة ، Neo-Realism ، وكتاب رسل المعروف « مشكلات الفلسفة » ، وإن كان يمثل بداية تفكيره التجريبي إلا أنه في كثير من آرائه يقترب من المثالية ، لاسيما في تقريره وجود الكليات⁽²⁾ Universals ولكن رسل في فلسفته النظرية المنطقية التي اعتمدها التحليل المنطقي ، تجريبياً ومنطقياً في معالجته لمشكلات الفلسفة والرياضيات ، وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار نظرية النظرية المنطقية ميتافيزيقية⁽³⁾ ، لكونها نظرية وضعت من قبل فلاسفة يؤمنون بالتجريبية ، والتجريبيون معروفون بعنائهم للفلسفة الميتافيزيقية⁽⁴⁾ . ويبرز الفرق بشكل واضح بين فلسفة رسل والفلسفة الميتافيزيقية في أن الثانية تبحث في العالم الخارجي لتصل إلى تقرير أنه لا يصلح أن يسكون حقيقة ، وأن علينا أن نبحث عن هذه الحقيقة خارج حدود العالم الخارجي . أما نظرية رسل فأنها إضافة إلى تقريرها وجود العالم الخارجي ، تتوسل باللغة لمعرفة الحقائق والأفكار ، لأن اللغة وسيلة تعبيرية عن الأفكار ، وإن أخطأ فلاسفة المثالية مثل بيركلي ناتجة عن استعمالات خاطئة للغة . لقد أكد هذه الحقيقة فنجنشتاين في بحثه « رسالة منطقية ... فلسفية » بقوله :

1) Russell, B., Logic and Knowledge P : 178

2) Russell., The Problems of Philosophy P: 95, Ch, IX

3) هناك رأي آخر يزعمه بعض الفلاسفة مؤداه أن نظرية رسل هي ميتافيزيقية ، بل إن طريقة التحليل ذاتها ميتافيزيقية ، وعم في تفسيرهم للميتافيزيقا يختلفون عن أسلافهم الفلاسفة في فهمهم للميتافيزيقا . ومن أم الدراسات في هذا الحقل كتاب : التحليل الفلسفي .

Urmsou Philosophical Analysis لذلك

4) The Revolution Philosophy, P: 46-47

[يحتوي هذا الكتاب على عدد من مقالات كتبت من قبل مختصين بالفلسفة ، والمقال الذي اقتبسناه منه تحت عنوان رسل وفنجنشتاين للكاتب D. Pears .]

« ان معظم القضايا والأسئلة التي كتبت حول أشياء فلسفية ليست كاذبة ، بل سقيمة .
لذلك لا نستطيع الاجابة كلياً عن اسئلة من هذا النوع ، وما علينا إلا بيان سخافتها . ان
معظم اسئلة الفلاسفة وقضاياها ناتجة عن عدم معرفتنا لمنطق لغتنا (١) .

ان أثر فتجنشتاين في نظرية رسل المعروفة بالدربة المنطقية شيء لا يمكن نكرانه ، ولقد
أشار رسل الى هذا التأثير بوضوح (٢) . فلقد استلم رسل من فتجنشتاين في بداية عام
١٩١٤ مخطوطة مفيدة كتبت على الآلة الطابعة تحتوي على كثير من انقاط المنطقية ، كان
لها أكبر الأثر في وضوح فلسفة الدربة المنطقية وبيان خطوطها الأساسية ، واصبحت
الموضوعات التي اثارها فتجنشتاين أساساً في فلسفة رسل المنطقية . ولكن ذلك لا يعني مطلقاً
أن نظرية الدربة المنطقية مدينة كلياً لأراء فتجنشتاين ، لاننا إذا رجعنا قليلاً الى الوراء
لاستقصاء التطور الفكري عند رسل ، فاننا نلمس بوضوح الأصول الرئيسية لفلسفته
الدربة التي اختمرت واكتملت بناؤها بتأثير فتجنشتاين . فمن أهم الكتب الفلسفية التي
نشرها رسل قبل فترة الدربة المنطقية كتابه المعروف « معرفتنا للعالم الخارجي » (٣) الذي
ناقش فيه الطريقة في الفلسفة ونظرية المعرفة وما يتصل بها ، وناقش نظرية الاستمرارية .

« Theory of Continuity » « ونظرية اللانهاية » « Theory of infinity »

وتعرض لنظرية جون ستيوارت مل في القضايا المنطقية مؤكداً أن المعرفة المنطقية لا يمكن
أن تشتق من الخبرة الحسية فقط ، وان فلسفة التجربة لا يمكن قبولها بوضعها الشامل (٤)
وتعرض بالنقد لمفهوم المنطق عند ديجل الذي اتخذ لنفسه طريقاً ميتافيزيقياً يختلف عن
الطريق المنطقي المعروف في الدراسات الرياضية والطبيعية ، فالمنطق في اعتقاده لا يتعدى
أن يكون البحث في طبيعة الكون وصورته .

ويحدد رسل اتجاهه الفلسفي عند ما يتخذ من القضية وحدة فكرية تخضع للتحليل ،
فشكل واقعة من قضية تعبر عنها ، والواقعة بحد ذاتها موضوعية ومستقلة عن الفكر ،

1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-Philosophicus : 4. 003

2) Russell, B., My Philosophical Development, P: 112

3) Russell, B., Our Knowledge of The external World « 1904 »

4) Ibid., P: 46

التحليل هي دراسة هذه الاشياء المتكثرة وصلتها باللغة . ولنا هنا ان نذكر حقيقة هامة هي ان هذه الطريقة ليست منهجاً في تحليل الاشياء المادية ، بل هي ذلك المنهج الذي يهتم باللغة وعلاقتها بالفكر والعالم الخارجي . وعلى هذا الاساس ينصب التحليل على اللغة واشكال قضايها وما تشير اليه من معان ودلالات .

ويساعدنا التحليل المنطقي في توضيح الغامض من الاشياء ، لان جميع فعل اليات التحليل تنصب على ما هو غامض ومعقد ، وذلك لكشف سر الغموض وسبب التعقيد ، فمن المعروف ان الرموز البسيطة واضحة بعيدة عن التعقيد ، فلا بد والحال هذه من تحليل المعقد الى بسائطه ، لاننا لا بد ان نسير بالتحليل الى البسيط ومعاني الرموز التي تعتمد على المعرفة المباشرة بالاشياء . ويميز رسل بين التحليل والتعريف ، ففي رأيه ان التحليل لا يعني التعريف ، لانه بالامكان تعريف حد بالوصف ، ولكن ذلك لا يمثل تحليلاً (1) .

ولكننا اذا سلمنا بصحة المقدمة الاولى وهي ان فعالية التحليل تنصب على المعقد وتحليله الى بسائطه ، فان التعريف يصبح جزءاً من التحليل ، لانه عملية ازالة الغموض وتوضيح معناه بدقة ، وهذه فعالية تدخل في نطاق التحليل . ولكن الذي يظهر من قول رسل المتقدم هو ان وصف الشيء تفصيلاً لا يمكن اعتباره عملية تحليل ، ويتفق هذا مع فلسفة التحليل ، لان العملية ليست فعالية وصفية ، بل هي تجزئة للمعقدات الى البسائط ومعرفة معانيها بدقة . وهل يدخل التعريف في فلسفة التحليل ، وقد أخذ رسل بالفعل في فلسفة النظرية المنطقية اساساً لتحديد معاني المفردات والقضايا .

وإذا كانت المعرفة العلمية برهانية او تجريبية ، فان تحليل المعرفة واجب للتأكد من سلامة المقدمات التي نستخدمها في العلم او الحياة اليومية . ففي المعرفة البرهانية او المنطقية يظهر التحليل وشروطه بشكل واضح ، يجب اختيار مقدمات تتميز بالوضوح والدقة والكفاءة والسعة ، لكي نستطيع ان نشق منها قضايا جديدة ، تكون جميعها نظام العلم البرهاني . اما المعرفة التجريبية فانها تختلف عن المعرفة المنطقية ، لان الاولى اقل دقة في نتائجها من المعرفة المنطقية ، كما انها تعتمد على الشخص الذي توصل الى هذه المعرفة

1) Russell , B . , Logic and knowledge : p : 196

بتجربته الخاصة ، وبناء على ذلك تختلف مقدمات نظرية المعرفة في حقل التجربة والخبرة من شخص لآخر ، ويصبح التحليل هنا ضرورياً لمعرفة المقدمات التي تصلح أساساً للمعرفة .
 مجال رسل المعرفة فيبدأ بالاشياء غير القابلة لرفض « Undeniable » ويقصد بها ذلك النوع من الاشياء التي لا يمكن للإنسان رفضها ، ولا يقرب رسل هذه المعرفة بالحقيقة ولكن في اعتقاده ان الاشياء التي نتخذها مقدمات في اي حقل من حقول التحليل هي الاشياء التي تظهر لنا انها غير قابلة لرفض⁽¹⁾ . ويلتزم رسل بعد اقراره هذه الحقيقة الى الطريقة التي اتبعها واقترحها ديكرت في ان يأخذ الانسان بالاشياء التي تبدو واضحة وغير قابلة للشك ، مبنياً توافق الطريقتين في هذا الباب . وبذلك يصبح الواجب الملقى على عاتق رسل في التحليل في ان يبدأ دائماً بالاشياء الواضحة ويقوم الحجج غير القابلة للدحض ، ولا يكون ذلك الا ان يبدأ بالسائط الواضحة ليرتقي بعدها الى الاشياء الأكثر تعقيداً والتي يكون للتحليل فيها الدور الرئيس .

ان مذهب التحليل الذي يطرحه رسل لمعالجة المشكلات الفلسفية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعقليته الرياضية القائمة على تحليل المشكلة وبيان السبب المباشر في تعقيدها . وكما تبدأ الرياضيات من مفاهيم اولية يحتاج بعضها الى تعريف ، ينهائى البعض الآخر من دون تعريف ، لانه يؤلف ما يسمى باللامعرفات *unde finables* ، نجد ان رسل في اتجاهه الفلسفي يحاول تلمس طريق مشابه تظهر فيه فعالية التحليل في اختيار البديهيات [لا نقصد هنا بالبديهيات ما هو معروف في الرياضيات] التي تصلح أساساً وبداية لدراسة نظرية واختيار المفاهيم التي يستخدمها في التحليل ، وتوضيح هذه المفاهيم أو تعريفها لتكون على بينة من معانيها دون ان يصيرها الغيب والابهام . ومن الحقائق او البديهيات المهمة التي يصفها رسل نصب عينيه في معالجة نظرية المعرفة ، والتي يسلم بها العقل دونما حاجة الى اجراءات معقدة للتحقق من صدقها او البرهان على صلاحيتها ، لانها واضحة لكل من له بصيرة ، هي ان العالم مؤلف من وقائع⁽²⁾ . ولأجل توضيح هذا المبدأ يجدر بنا طرح مناقشة منطقية معروفة هي ان اللغة تتألف من اوليات هي الاصوات في حالة الكلام ،

1) Ibid . , p : 181

2) Ibid . , p : 182

ومن حروف في حالة الكتابة ثم من كلمات وحمل وقضايا ، والقضايا تتميز بشيء مهم هي
 انها تقوم بتقديم اخبار ومعلومات تحتمل التصديق او التكذيب ، والقضية رمز أو مجموعة
 رموز محدودة تحتمل الصدق او الكذب ، وتكون القضية صادقة اذا كان ما تخبر عنه
 مطابقاً للحقيقة ، وتكون كاذبة اذا كان ما تخبر عنه لا يطابق الحقيقة . وهذا معناه اننا
 ننظر الى القضية من ناحيتين : -

- (١) من الناحية اللغوية باعتبارها مؤلفة من رموز ترتبط بارتباطات لغوية او منطقية.
- (٢) من الناحية الدلالية باعتبار ان القضية تشير الى شيء ، غير لغوي خارج عن نطاق
 اللغة .

والقضية اضافة الى ذلك تعبر عن معنى ، فاذا تطابقت القضية مع الواقع كانت صادقة ،
 واذا لم تطابق كانت كاذبة . فالعلم الخارجي بناءً على التحليل المتقدم يتألف من وقائع يعبر
 عنها بقضايا . والواقعة في مفهوم رسل هي ذلك النوع من الشيء الذي يجعل القضية صادقة
 او كاذبة ^(١) . ولا نقصد بالواقعة اذن ما تشير اليه كلمة او اسم فقط ، فالاسم « افلاطون »
 مثلاً لا يمثل واقعة ، وذلك لاختلافها عن المفرد من الاشياء ، كما ان هذا الاسم لا يشير الى
 واقعة ، لانه ليس قضية . فالواقعة اذن هي ما تشير اليه القضية . ولتوضيح هذه الحقيقة
 المنطقية يجدر بنا ذكر بعض الامثلة من علوم مختلفة : -

ا - الشمس ساطعة

ب - $2 + 2 = 4$

ج - الذرة تتألف من الكترونات وبروتونات

د - تدور الارض حول الشمس

تكون كل قضية من القضايا المذكورة صادقة اذا كانت مطابقة للواقعة التي تشير اليها ،
 وكاذبة اذا كانت خلاف ذلك . والواقعة في كل قضية من هذه القضايا تختلف الواحدة عن
 الاخرى ، لان الواقعة في القضية الاولى يومية ، وفي الثانية رياضية ، وفي الثالثة فيزيائية ،

(1) Ibid . . p : 182

وفي الرابعة فلسفية . وهذا يدل دلالة واضحة ان العالم يتألف من وقائع مختلفة ، وان لغات العلوم تتكلم او تعبر عنها هذه الوقائع سلباً او ايجاباً .

ان البديهية الاولى التي وضعها رسل في نظرية المعرفة الذرية هي كما يبدو ناتجة من تأثير فتجنشتاين عند ما كان طالباً وزميلاً لرسل ، لا سيما ان الاول سلم مخطوطات للثاني طالع فيها الكثير من مشكلات نظرية المعرفة واللغة والفلسفة ، وقد ظهرت هذه البديهية بشكل واضح في كتاب فتجنشتاين الشهير بانص الآتي : « ان العالم هو المجموع السكلي للوقائع وليس للاشياء »⁽¹⁾ ، « لان المجموع السكلي للوقائع يعين ما هو موجود فعلاً ، وكذلك كل ما هو غير موجود »⁽²⁾ . ففي المبدأ الاول الذي يقره فتجنشتاين يتضح ان الواقعة « Tatsache » عنده تختلف عن الشيء ، وان العالم لا يتألف من اشياء ، بل من وقائع ، لانه لا يوجد شيء منفصل ، فالاشياء صفات وعلاقات فيما بينها ، والواقعة تعين بالشيء الذي له صفة او بالشيء وعلاقته بشيء آخر . ويعبر عن هذه الوقائع بعبارات لغوية أو قضايا . وتختلف الوقائع كذلك اضافة الى اختلافها بالنسبة للعلوم ، من حيث تركيبها ، فلهي وقائع فردية « Particular facts » ووقائع عامة « Geueral facts » ، كما توجد وقائع موجبة وأخرى سالبة . فاذا قلنا « هذا كتاب » و « كل انسان فان » فاننا نضع أمامنا واقعيتين : الاولى فردية والثانية عامة ، واذا قلنا « افلاطون يوناني » و « افلاطون ليس يونانياً » فاننا نريد بالقضية الاولى واقعة موجبة وبالثانية واقعة سالبة . وبالرغم من اعتقاد رسل بوجود وقائع سالبة ، الا ان المسألة بحد ذاتها معقدة وغامضة ولنا هنا وقعة قصيرة . ان القضية « افلاطون يوناني » موجبة وتشير الى واقعة موجودة فعلاً ، والقضية « افلاطون روماني » موجبة ولكنها لا تشير الى واقعة موجودة بالفعل ، لانا اذا فتحنا بين جميع الوقائع ، فاننا لن نجد واقعة واحدة ينطبق عليها حكم القضية المذكورة . اما بالنسبة للقضايا التي تحتوي على نفي مثال ذلك « افلاطون ليس يونانياً » و « افلاطون ليس رومانياً » ، فاننا نعرف مثلاً ان « افلاطون يوناني » وان غير ذلك يؤدي الى كذب القضية . فاذا اعتبرنا ما تعنيه العبارة « ليس يونانياً » جميع الصفات الاخرى مثل آسيوي وافريقي وفرنسي وروماني وهكذا ، فاننا عندئذ نحصل على قضية موجبة لا يوجد لها واقعة

1) Wittgenstein. L., Tractatus Logico-Philosophicus 1.1.

2) Ibid., 1. 13.

تنطبق عليها القضية ، فهي قضية كاذبة . أما القضية الأخرى « افلاطون ليس رومانياً » فهي بالنسبة للمنطق قضية صادقة ، لأنها تنفي صفة غير موجودة فعلاً في الموضوع . ولكن المشكلة تبقى معلقة لححد كبير وهي اذا اعتبرنا العبارة « ليس رومانياً » تعني جميع الصفات عدا روماني ، فاننا لا نحصل دائماً على قضية صادقة ، لان القضية يمكن أن تكون « افلاطون آسيوي » ، وهي قضية كاذبة . من هذا التحليل يظهر لنا ان التناقض يمكن أن يظهر نتيجة عدم التجديد ، والتموض الذي يشوب هذه المسألة . والآن دعنا نطرح حلاً آخر للمسألة ، وذلك على أساس اعتبار النفي ينصب على القضية جميعها وليس على المحمول فقط ، كما هو معمول في المنطق . وبناء على ذلك تكون لدينا الاحتمالات الآتية : —

١ — اذا كانت القضية A صادقة فان القضية | ليس A | كاذبة .

٢ — اذا كانت القضية A كاذبة فان القضية | ليس A | صادقة .

بناء على هذه الاحتمالات ، فان القضية الصادقة تعبر عن واقعة تطابقها ، اما في حالة ان تكون القضية المنفية صادقة ، مثال ذلك ليس (سقراط رومانياً) ، فان الحل لها يكون اما بوضع قضية موجبة صادقة معادلة لها مثل (سقراط يوناني) وعندئذ تعبر عن واقعة مطابقة لها ، أو ان نعتبر القضية المنفية بطريقة شبيهة بالقضايا الجزئية التي تحتوي على روابط منطقية ، وعندئذ لا نسأل عن الواقعة بقضية بأجمعها ، بل عن القضية دون النفي ، فاذا كانت صادقة ، اصبحت منطقياً بدمل النفي كاذبة ، واذا كانت كاذبة ، اصبحت تبعاً لوظيفة النفي المنطقية صادقة . وعلى هذا الاساس نتخلص من المشكلة وتصبح جميع الوقائع في العالم موجبة فقط (١) .

ويتضح اضافة الى هذا التحليل ان التمييز ضروري بين انقضية سواء كانت سالبة أم موجبة وبين الواقعة ، لاسيما وان الرموز المنطقية مثل الروابط لا يوجد ما يوازها في العالم الخارجي ، وان النفي رمز ينتمي الى عالم اللغة دون عالم الواقع ، فالقضية تكون موجبة أو سالبة ، بينما لا تكون مثل هذه الصفة للزدوجة موجودة في الواقعة . فالقضايا عامة تنتمي الى العالم اللغوي ، بينما الوقائع تنتمي الى العالم الموضوعي ، ولهذا التمييز أهمية كبيرة ،

(١) ان الحلون التي اقتراحناها للمشكلة لا تعتبر جزءاً من فلسفة رسل الذرية ، وانكنا وضمناها منا لسبب مهم هو اعتقادنا بعدم قدرة فلسفة رسل الخروج بحل للمشكلة ، ما دامت ترى بأن هناك وقائع منطقية تنتمي الى العالم الخارجي .

لأن القضية تحمل الصدق أو الكذب ، بينما لا نستطيع القول ان الواقعة صادقة أو كاذبة^(١) ، فالصدق والكذب صفتان تختص بالقضايا فقط . ولا بد ان نشير هنا الى اختلاف بين رسل وفتجنشتاين ، وهذا الاختلاف ناتج عن نظرتهم الى ما ينتمي الى العالم ، فتجنشتاين في النص الذي يقول فيه ان العالم يتألف من وقائع وليس من اشياء يختلف عن رسل الذي يرى ان العالم لا يمكن ان يوصف كلياً بالمفردات ، بل يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار الوقائع التي يعبر عنها بقضايا ، وهذه الوقائع هي جزء من العالم الواقعي تماماً مثل المفردات كالكراسي والمناضد التي تنتمي اليه^(٢) .

والاختلاف بين الواقعة والشيء يمكن ان يظهر بشكل واضح اذا نظرنا اليها من خلال اللغة ما دام التحليل يهتم بالقضايا والعبارات . فالواقعة يعبر عنها بقضية تحمل الصدق أو الكذب ، بينما يعبر عن الشيء باسم . ولكي لا يكون في الامر لبس لابد من الاشارة هنا الى ان لكل واقعة قضيتين موجبة وسالبة ، بينما لا يتصف الاسم بهذه الصفة ، فلا يمكن القول ان القضية اسم أو بالعكس . لقد ذكر فتجنشتاين هذا التمييز في مقالة^(٣) رداً على ما اكده جوتلوب فريجه من ان القضية اسم^(٤) . فاستفاد رسل من فتجنشتاين لتقرير هذه الحقيقة للمنطقية المهمة ، وهو الذي يعترف بأن الجزء الأكبر في محاضراته يحتوي على افكار استفادها من صديقه فتجنشتاين^(٥) .

ان مهمة التحليل استناداً الى الفعاليات الفلسفية التي ذكرناها تستهدف معرفة مكونات الاشياء المعقدة سواء كانت هذه الاشياء لغوية أم واقعية . وفلسفة النظرية المنطقية كما ذكرنا سابقاً تهتم اولاً بمعرفة الذرات التي تتألف منها التراكيب المنطقية ، والذرات في هذا السياق من التحليل تعني الوحدات الأولية غير القابلة لتجزئة الى ذرات اخرى اصغر منها لها نفس الطبيعة . فالتحليل يبدأ اذن بتحليل المركبات او الاشياء المعقدة

1) Russell, B., Logic and Knowledge P: 184

2) Ibid., P: 185

3) Wittgenstein, L., Notes on Logic (The Journal Philosophy Vol. XIV, No. 9. 1957) P. 252

(٤) لم يميز فريجه في مقاله حول المعنى والدلالة « Über Sinn und Bedeutung » بين الاسم والقضية ، بل اعتبر الاسم كلمة او رمزاً او عبارة او قضية . واكتفى بتعريف الاسم بأنه رمز يعبر عن شيء في القضية قيمة الصدق Wahrheitswert

5) Russell, B., Logic and Knowledge P. 205

مستهدفاً من وراء ذلك كشف مكوناتها ومعرفة علاقاتها واشكالها . والتحليل الذي يعتمد التجزئة لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية . فمن المعروف في علم اللغة مثلا ان التحليل المنطقي المطبق فيه يبدأ بالمركبات اولا ، والمركبات هنا العبارات اللغوية التي تتألف بدورها من عبارات او جمل وقضايا ، فبالتحليل نتعرف على اشكال الجمل والقضايا ، واذا كانت هذه مركبة ، فان التحليل يقودنا الى معرفة القضايا البسيطة . وهذه القضايا البسيطة تتحلل بدورها الى كلمات واسماء وادوات ، وهذه تتحلل بدورها الى مقاطع واصوات . هذا هو ما يحدث بالنسبة لتحليل اللغة في علم اللغة ، فإذا يحدث بالنسبة لنظرية المعرفة والمنطق في فلسفة النظرية المنطقية ؟ . فاذا كانت مهمة التحليل اكتشاف اوليات الاشياء ، فما انواع الاشياء التي تعتبر اوليات المركبات ؟

والاجابة عن هذا السؤال نحتاج اولا التعرف على المركبات ، لانها اول الطريق في التحليل ، فبالنسبة لرسول ان جميع الاشياء التي ندركها في العالم الخارجي وكل ما يطلق عليها باسماء اعلام هي وحدات معقدة ، فالشجرة والمنضدة والكرسي وغيرها اشياء ليست بسيطة كما تظهر لأول وهلة ، فاذا اردنا ان نعرف ان نحدد الشجرة ، ووجب علينا وصف كامل لها ، ولا يتم هذا الوصف الا باستعمال القضايا التي تكون الشجرة موضوع فيها و صفاتها المختلفة محولات ، واذا جمعنا هذه القضايا معاً ونظرنا من خلالها الى الموضوع وما يحمل عليه من صفات كثيرة ، فاننا ندرك ان جميعها تؤلف وحدة واحدة ، وهذه الوحدة المعقدة هي الشجرة ، اما الصفات فانها وحدات بسيطة تدخل في هذه الوحدة المعقدة وعلى هذا الاساس تصبح هذه الصفات هي الشجرة وتكون الشجرة سلسلة من فئات ذات وحدات مادية . فالاشياء والوقائع في العالم الخارجي معقدات ، وان الواقعة التي تعبر عنها القضية « سقراط فان » معقدة كذلك ، لانها تتحلل الى « سقراط » و « فان » وان هذه التجزئة تفرض نفسها من خلال ملاحظتنا للغة ، فاننا نجد قضايا لها شكل القضية الالفة الذكر واسكنها رغم اشتراكها في الشكل تختلف من حيث المعنى ، اذ بالامكان الاستعاضة عن سقراط باي اسم آخر مع بقاء المحمول ثابتاً ، فنحصل نتيجة لذلك على قضايا يتغير فيها الموضوع . كما يمكننا تغيير المحمول وابقاء الموضوع ثابتاً ، فنحصل نتيجة لذلك على قضايا يتغير فيها المحمول . ان هذه العملية تبين لنا ان القضية « سقراط فان » وغيرها التي

لها الشكل نفسه تنحلل الى اجزاء محدودة ، وهذه الاجزاء هي الوحدات التي تتكون منها القضية .

ان الذي يزيد من تعقيد الاشياء في العالم الخارجي هو ان الاشياء ليست منفصلة ، بحيث يمكن عزل الواحد منها وتحليلها دون ان تدخل في عملية التحليل فلو اهر اخرى . فالاشياء ترتبط بعلاقات مختلفة وتعمل عليها صفات كثيرة ، واننا اذا اردنا ان نتحدث عن شيء ، نجد انفسنا مضطرين بدراسة علاقاته وصفاته وارتباطاته . ويصدق التحليل نفسه على الواقعة ، فاذا اردنا وصفها وصفاً تاماً من جميع جوانبها ، فاننا نضع سلسلة من قضايا بسيطة فيها موضوع تتغير صفاته ومحولاته ، وهذه القضايا جميعها تقدم لنا الوصف التام للواقعة .

من هذا التحليل يظهر لنا بوضوح ان الاشياء وصفاتها وعلاقاتها هي المكونات الاولية للواقعة ، وان الواقعة قابلة للتحليل الى اجزائها كما تنحلل القضية الى كلمات . ان تحليل الوقائع والاشياء ابتداءً من العالم الخارجي يزيد المسألة تعقيداً ، لما لهذه الوقائع والاشياء من روابط وعلاقات ، واننا نجد في تاريخ الفلسفة امثلة كثيرة تبين لنا ان الفلسفات المثالية ظهرت نتيجة لاهتمام الفلاسفة بالمعتقدات من الاشياء ، فنجدهم ينظرون اليها بروابطها وعلاقاتها ، وهم في سيرهم هذا لا يتوقفون الا عند بلوغهم النتيجة الحتمية لنظرتهم الى الاشياء وعلاقاتها الداخلية ، وهي ان العالم وحدة كلية او حقيقة لا يمكن تجزئتها ، لان في التجزئة افساداً للعلاقات الداخلية والحقيقة وهذا هو موقف برادلي⁽¹⁾ وللتخلص من كثير من المشكلات الناتجة عن النظر في المعتقدات للوجود في العالم الخارجي يتخذ رسل اسلوباً آخر يقوم على تحليل اللغة والنظر الى العالم من خلالها ، لان في هذا الاسلوب ما يبعدنا عن النظرة الكلية للاشياء ، كما يمكننا تحليل اللغة وربطها بمدلولاتها . ولما كانت القضايا مهمة في عكس صور العالم الخارجي ، فان علينا اذن مهمة التعرف عليها بدقة مستعينين بنظرية فريجه⁽²⁾ ، وهي النظرية التي تأثر بها رسل وفتجفتاين في فلسفة الدرية المنطقية . القضية بالنسبة لفريجه هي :

1) The Revolution in philosophy p 12 - 25 انظر

2) Frege , G . , Funktion . Begriff , Bedeutung -über Sinn und Bedeutung - p : 58 - 65

١ - رمز او مجموعة من رموز [مجموعة كلمات]

٢ - تعبر عن معنى

٣ - لها دلالة تشير اليها في العالم الخارجي .

ان القضايا هي اول للعقدات في مستوى اللغة ، وتتألف من رموز هي مكوناتها الاساسية ، وتتميز بانها تعبر عن معنى ، والمرء يفهم القضية دونما حاجة الى معرفة فيما اذا كانت صادقة او كاذبة ، وان عملية الفهم هذه لا تعتمد على تكرار استعمالها ، بل ان الفهم يتم دون ان يكون للمرء معرفة سابقة بالقضية ، فيكفي بالنسبة للسامع ان يعرف معاني الرموز او الكلمات التي تتألف منها مضافاً الى معرفة بالقواعد اللغوية ، ومن الكلمات وعلاقتها تظهر وحدة المعنى .

واذا حللنا القضية ، فالتناحصل دون شك على رموز اقل تعقيداً من القضية الاولى موضوع البحث ، فهي رموز يتألف من رموز بسيطة ، وتختلف طبيعة هذه الرموز باختلاف دورها ووظيفتها ، فوجدت بينها للموضوع والمحمول والرابطة او العلاقة . والتحليل للقضية لا يصل الا الى رموز معينة ، بحيث ان تجزئتها غير ممكنة . فالكلمة والرابطة والاسم رموز بسيطة ، والرمز البسيط بالنسبة لرسول هو رمز ليس له اجزاء هي بدورها رموز^(١) . ويربط رسول الرموز البسيطة واللغة بالعالم ، فالرمز البسيط يرمز الى اشياء بسيطة ، والرمز المعقد يرمز الى اشياء معقدة ، وان تحليل الرمز الى بسائطه هو تحليل للواقعة الى مكوناتها التي تتكون منها . وهذا يدل على ان بين القضية البسيطة والواقعة علاقة واحد بواحد تشير الى ذلك مكونات القضية والواقعة . ان هذه النظرية الثورية في فلسفة رسول متأدية من اثر المنطق والرياضيات ، فمن المعروف في المنطق ان الرموز البسيطة لها معان بسيطة ، وان المعقدة منها لها معان معقدة ، وان للرمز الواحد فكرة واحدة فقط ، ولا يمكن ان يكون للرمز اكثر من معنى ، لان في ذلك تمهيداً لحدوث التناقضات وهذه الشروط لا بد من توفرها في كل نظام منطقي ، ولقد كانت حجر الزاوية في فلسفة الرياضيات التعميمية « Mathesis Universalis » عند ليبنتز^(٢) .

ولا بد لنا هنا من التمييز بين لغة التداول ولغة المنطق والرياضيات . ان القضايا في

(١) Russel, B., Logic and Knowledge p: 194

(٢) انظر مقال « نظرية جوتلوب غير بنج المنطقية » في مجلة كلية الآداب ... العدد التاسع سنة ١٩٦٦ م

لغة التداول تتألف من كلمات ، وهذه الكلمات معان كثيرة مختلفة تتغير تبعاً لمؤثرات نفسية واجتماعية لأن المعنى هنا يعتمد على المتكلم والوضعية الاجتماعية ، وانه يمكن أن يتغير في وضعية اجتماعية اخرى أو عند استعمال الكلمة ذاتها من قبل شخص آخر . وهذا ما يجعل هذه اللغة غير قادرة على التعبير الدقيق ، ولكن لهذه اللغة مزايا اخرى مهمة هي انها مرنة وغزيرة وتصلح أداة ووسيلة للتفاهم ونقل الافكار . اما لغة المنطق والرياضيات فانها لغة دقيقة تعبر كل قضية فيها على شيء أو واقعة معينة ، واننا عند ما نحلل القضية الى اجزائها ، فاننا في الوقت نفسه نحلل الواقعة كذلك ، لأن بين مكونات القضية والواقعة علاقة واحد بواحد . وبناء على ما تقدم نتوصل في فلسفة النظرية المنطقية الى الحقائق الآتية : —

١ — ان مكونات القضايا هي رموز يجب علينا فهمها إذا اردنا فهم القضية كوحدة لغوية .

٢ — ان اجزاء الواقعة التي تجعل القضية صادقة أو كاذبة هي معان « Meanings » للرموز التي نفهمها إذا اردنا فهم القضية ^(١) .

٣ — ان بين اجزاء الواقعة ومكونات القضية علاقة واحد بواحد وان القضية في صورتها اللغوية وما تدل عليه ماهي الا صورة للواقعة . ان هذا التطابق بين القضية والواقعة نجده بشكل واضح في فلسفة فنجشتاين ^(٢) المتضمنة في Tractatus ، وهذا التطابق يمثل دون شك حجر الاساس في فلسفته المنطقية ، نظري رأيه ان الصورة [ويقصد هنا القضية في صورتها المنطقية أو اللغوية] نموذج للواقع ^(٣) ، وان الاشياء تطابق ما هو موجود في الصورة من أوليات ^(٤) . وعلى هذا الاساس تصبح القضية صورة للواقع ، وان هذه الصورة في مطابقتها لهذا الواقع تكون صادقة ، وفي عدم مطابقتها تكون كاذبة ، وان الصورة بذاتها ليست كاذبة أو صادقة ، انها تبين معناها فقط ، وان الصدق أو الكذب

1) Russell, B., Logic and Knowledge P: 196

٢) غير فنجشتاين هذه النظرية النظرية المنطقية في المطابقة بين القضية والواقعة وفي العلاقة المتماثلة بين اجزاء القضية والواقعة في دراساته الفلسفية المتأخرة وخاصة في كتابه بحوث فلسفية

Philosophical investigations

3) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-Philosophicus 2. 12: P : 38

4) Ibid., 2. 13: P: 38

يعتمد على المطابقة وعدمها مع الواقع .

وبعد هذا الشرح يجدر بنا ان نلتفت الى الواقعة ذاتها وما الاشياء في العالم الخارجي التي نتخذها نقطة ابتداء . وتبعاً لطريقة التحليل لا بد لنا ان نبحث عن ايسر الوقائع ، بحيث ان أية تجزئة لها لا يمكن ان تؤدي الى وقائع أبسط منها . ولما كانت اللغة خير وسيلة يتخذها فيلسوف التحليل لمعرفة ما تشير اليه ، فان رسل يبدأ بضرب امثلة هي قضايا بسيطة جداً تتألف من اسم اشارة ومحمول أو صفة ، فاذا قلنا « هذا ابيض » ، فاننا بذلك نستخدم قضية للتعبير عن هذه الواقعة ، والقضية تتألف من موضوع هو « هذا » ومن محمول هو « ابيض » ، وقد اختار رسل هذه الأمثلة التي تستخدم الاشارة للتدليل على كونها قضايا بسيطة لسبب بسيط هو ان الكلمة أو الاسم ربما يكون لها أوله معنى كلي ، وهذا المعنى الكلي لا يمكن النظر اليه على أساس أنه بسيط ، كما ان استعماله يثير مشكلة ، فاذا قلنا « الكرسي ابيض » فاننا نريد بذلك أي كرسي ابيض دون ان نحدد بكرسي معين ، فتكون لهذه القضية وقائع كثيرة ، أما إذا قلنا « هذا ابيض » فاننا نشير الى شيء معين له صفة معينة ، وتكون القضية المستعملة لها واقعة معينة كذلك . فالقضية « هذا ابيض » قضية بسيطة أو ذرية وان ما تشير أو ترمز اليه في العالم الخارجي هو واقعة ذرية . Atomic fact . أو كما يسميها فتجنشتاين بالألمانية Sachverhalt وتعني الواقعة البسيطة كذلك . والى جانب هذا النوع من الوقائع توجد وقائع بسيطة أخرى فيها أكثر من شيء واحد يرتبط بعلاقة ، والقضايا التي تشير الى هذه الوقائع هي قضايا بسيطة كذلك إلا أنها تحتوي على أكثر من موضوع وعلى رابطة أو علاقة . وعلى هذا الأساس يسكون بإمكاننا تصنيف القضايا والوقائع الذرية تبعاً لعدد الموضوعات والاشياء . ولإيضاح هذه الحقيقة نقدم الأمثلة الآتية :-

سقراط فان : قضية تتألف من موضوع ومحمول .

احمد اكبر من محمود : قضية تتألف من موضوعين ومحمول .

الكتاب بين احمد ومحمود : قضية تتألف من ثلاثة موضوعات ومحمول

وهكذا

فاذا نظرنا الآن الى المحمول على اساس انه يمثل علاقة سواء كان هذا المحمول لموضوع

واحد أو أكثر ، فأننا نحصل على الصور أو الاشكال المنطقية الآتية حسب الترتيب
 Rx حيث ترمز R الى العلاقة و x الى الموضوع او الحد
 xRy أو (xy) R_2 الى علاقة ثنائية والرموز x, y الى حدود
 (xyz) R_3 حيث ترمز R_3 الى علاقة ثلاثية والرموز x, y, z الى حدود
ترتبط بالعلاقة . ويمكننا بالطريقة نفسها اعطاء اشكال اخرى أكثر تعقيداً تكون العلاقة
فيها رباعية أو خماسية أو سداسية وهكذا . والرموز التي تتألف منها هذه الصور تشير الى
اشياء مادية هي مفردات ، وهذا معناه ان العلاقة بين الصورة للقضية والواقع لا تزال
قائمة ، وان الحدود في الشكل المنطقي للقضية لها ما يقابلها من مفردات في العالم الخارجي .
وان بالامكان ترتيب هذه القضايا رغم انها قضايا ذرية جميعها على هيئة درجات أو مستويات
بالنظر الى عدد حدودها .

ويعرف رسل المفردات التي تشير اليها الرموز في القضية انها حدود لعلاقات الوقائع
الذرية ⁽¹⁾ . وهذا التعريف يدل على مبدأ تحليلي ، فان رسل لم يعرف المفردات منفصلة عن
الواقعة الذرية ، بل جعل الواقعة الاطار الواسع الذي يضم المفردات ، ويتعبير ادق ان
الواقعة الذرية تتألف من اجزاء هي المفردات . وبناء على ما تقدم من تحليل يصبح اسم
العلم | وهو رمز لغوي | رمز يشير الى شيء مفرد ، وتكون اسماء الاعلام كلمات لمفردات ⁽²⁾
ويتفق رسل بهذا التعريف لاسماء الاعلام مع تعريف فريجه الذي ينص على ان اسم العلم
رمز يشير الى شيء معين هو دلالته ⁽³⁾ .

وترتبط القضايا الذرية بروابط منطقية مكونة بذلك قضايا مركبة او جزئية .
والروابط المنطقية التي نعنيها هي البديل والعطف والالزام وغيرها ، وهذه الروابط وظائف
منطقية معينة يدرك الفرد اهميتها عندما يجدها تربط القضايا البسيطة لتحوّلها الى قضايا
مركبة يتوقف صدقها او كذبها على الوظائف المنطقية لهذه الروابط . فالقضية المركبة او
الجزئية اذن هي قضية فيها قضايا ذرية ترتبط بروابط مثل او ، و ، اذا ... فان ... الخ .

1) Russell, R., Logic and Knowledge P; 109

2) Ibid., P; 200

3) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung -Über Sinn und
Bedeutung- P; 39

فاذا رمزنا للقضية بالرمز A والاخرى بالرمز B ، فان القضية الجزئية تكون لها الصور المنطقية الآتية :

A	رمز يشير الى و	$B \wedge A$
V	رمز يشير الى او	$B \vee A$
\rightarrow	رمز يشير الى الاثر	$A \rightarrow B$

وتختلف القضية الجزئية عن القضية الذرية من حيث ان صدقها او كذبها لا يعتمد مباشرة على الوقائع في العالم الخارجي ، بل يعتمد على صدق او كذب كل من القضية A والقضية B . وهذا معناه ان صدق او كذب القضية الجزئية يعتمد على الواقعتين وليس على واحدة . ولتوضيح هذه الحقيقة يستعين رسل بجدول الصدق Truth-table وما يظهر فيه من احتمالات ودالات الصدق « Truth-Functions » ، فتكون القضية الجزئية ذات الرابطة « و » صادقة في حالة صدق كل من القضيتين A و B ، وتكون كاذبة في جميع الحالات الاخرى ، وهي في حالة صدق A وكذب B ، وفي حالة كذب A وصدق B وفي حالة كذب القضيتين معاً . وتكون القضية الجزئية ذات الرابطة « او » صادقة في حالة صدق القضيتين معاً ، وفي حالة صدق A وكذب B ، وفي حالة كذب A وصدق B ، وتكون كاذبة في حالة واحد من كذب الاثنين معاً . اما القضية الجزئية ذات الرابطة « اذا ... فان ... » فانها تكون كاذبة في حالة صدق القضية الاولى A وكذب القضية الثانية اللازمة عنها B ، وتكون صادقة في جميع الحالات الاخرى وهي : في حالة صدق القضيتين او كذبها معاً ، وفي كذب A وصدق B .

ومن المعروف في المنطق اننا نميز بين الافكار المعرفة « defined ideas » والافكار غير المعرفة « undefined ideas » ، ونستعين بالافكار غير المعرفة او اللامعرفات لتعريف الافكار المعرفة ، وبالنسبة للروابط المنطقية فاننا يمكن ارجاع بعضها الى البعض الآخر ، فقد اختار رسل في كتابه الرئيس بالاشترك مع وايتهد⁽¹⁾ النفي والبدل لتعريف بقية الروابط المنطقية ، واختار جوتلوب فريجه⁽²⁾ النفي والالزام لتعريف روابط منطقية ، واختار شيفر « Sheffer » رمزاً واحداً لتعريف جميع الروابط المنطقية وهو الرمز المعروف بخط

1) Principia Mathematica

2) Frege , G . , Begriffsschrift

شيفر، ويذكر رسل في محاضراته في فلسفة الذرية المنطقية هذه الطريقة في تعريف الروابط ويرى انها احسن من طريقته في كتاب « اصول الرياضيات »^(١)

ويذكر رسل نوعاً آخر من القضايا الى جانب القضايا الجزئية، قضايا من نوع آخر هي اكثر تعقيداً من القضايا الذرية، وان الذي تتميز به هذه القضايا هو انها تحتوي على اكثر من فعل واحد، بينما تحتوي القضية الذرية على فعل واحد^(٢). ومن الافعال التي يذكرها رسل مع هذه القضايا هي « يرغب ويعتقد ويريد » مثال ذلك قولنا « انا اعتقد ان هذا الشيء مسموم ». ولا يقف تحليل رسل عند هذا الحد، بل يعتقد بوجود وقائع اخرى الى جانب الوقائع الذرية، وان مهمة المنطق هي ان يعرف اشكال هذه الوقائع وانواعها المختلفة. فالوقائع التي تشير اليها القضايا الذرية ذات الفعل الواحد تختلف من حيث التركيب عن الوقائع التي تشير اليها القضايا المحتوية على اكثر من فعل واحد. وهذا يدل على ان رسل هنا متمسك بنظرية المطابقة بين القضية والواقعة، فليست القضية وحدها تحتوي على فعلين مثلاً، بل ان الواقعة تحتوي على ما يقابل هذين الفعلين، وهذا معناه وجود تطابق تام بين تركيب القضية وتركيب الواقعة.

واسكن هل هذه هي جميع الوقائع ام هناك وقائع اخرى من نوع آخر؟

يجيب رسل بالاجاب، فهو يرى ان القضايا العامة مثل « كل انسان فان » وغيرها لها ما يقابلها من وقائع، وان القضايا الجزئية ذات الشكل « بعض الناس علماء » لها هي كذلك ما يقابلها من وقائع^(٣). ان رسل في تقريره وجود وقائع عامة، انما يقوم بتطبيق نظريته المنطقية في نظرية المعرفة، ويرى اننا لا نستطيع الوصول الى الوقائع العامة بواسطة الاستنتاج من وقائع فردية^(٤). ويناقش رسل في علاقة القضايا العامة والجزئية بالوقائع مسألة الوجود « existence »، ويرى ان كثيراً من المشكلات الفلسفية ناتجة عن عدم تحديد هذا المفهوم، ويربط رسل هذا المفهوم بالقضية ذات الثابت المنطقي « يوجد واحد على الاقل »، وهذا معناه ان رسل ينتقل بالتحليل من القضايا الى دالات القضايا،

1) Russell, B., Logic and Knowledge p: 01

2) Ibid., p: 208

3) Ibid., p: 235

4) Ibid p: 229

ودالة القضية هي صيغة منطقية فيها متغير واحد على الاقل ، او كما يعرفها رسل بأنها اي تعبير يحتوي على جزء غير معين او عدة اجزاء غير معينة ، يصبح قضية حاملة لتعيين هذد الاجزاء غير المعينة ^(١) ودالات القضايا هذد يمكن ان تكون الواحدة منها صادقة دائماً او صادقة في بعض الاحيان او كاذبة دائماً. فاذا اخذنا الدالة الآتية « اذا اعرابي فان اسيوي » فاننا امام دالة صادقة دائماً ، اما الدالة « الانسان » فانها صادقة في بعض الاحيان ، بينما تكون دالة القضية « اتين » كاذبة . ومن الجدير بالذكر هنا ان صدق او كذب الدالة يتوقف على التقييم التي نضعها مكان المتغيرات فتتحول الدالة الى قضية تحتمل الصدق او الكذب .

وتبعاً لتحليل المتقدم تصبح دالة القضية التي توصف بالصدق الدائم « ضرورية » ، بينما تلك التي توصف بأنها صادقة في بعض الاحيان « احتمالية » والاخيرة « مستحيلة » وهذه الصفات هي افكار اساسية كما نعلم في منطق الجبهات « Modal Logic » ، وهذد صفات لا تخص القضايا ، بل دالات القضايا . ويرى رسل ان التناقضات تظهر عند ما تحمل بعض الصفات على قضايا بينما هي تتعلق بدالات القضايا او بالصفات .

ونعود الآن الى مسألة الوجود ، فان رسل يرى انه اذا اخذنا اية دالة قضية وكانت احتمالية عند اعطاء قيم لمتغيراتها ، فان ذلك يعطينا المعنى الاساس للوجود ^(٢) . ففي دالة القضية الآتية : -

١ انسان

انه توجد قيمة واحد على الاقل للمتغير ا تجعل دالة القضية صادقة . وهذا يدل على ان الوجود صفة لا تختلف عن الضرورية والاحتمالية والاستحالة من حيث ارتباطها بدالة القضية . اما بالنسبة للقضايا العامة فان رسل يرى عدم احتوائها على الوجود . وكما يدخل النفي في القضايا القدرية ويناقشه رسل تبعاً لنظريته في المطابقة بين القضية والواقعة ، منتهياً الى القول باحتمال وجود وقائع منفية ، نجد ان نفي الدالة الى عامل النفي في القضايا العامة ، فمن المعروف في المنطق ان نفي القضية العامة يؤدي الى اثبات قضية جزئية سالبة ، فاذا كانت القضية العامة « كل عربي اسيوي » منفية ، فان القضية الجزئية السالبة تكون مثبتة « بعض العرب ليسوا اسيويين » واذا كانت القضية العامة مثبتة مثال ذلك

1) Ibid . , p : 230

2) Ibid . , p : 232

« كل إنسان فإن » فإننا في الوقت نفسه تنفي وجود إنسان غير فإن أو خالد ومن هذه الزاوية يمكننا النظر إلى القضايا العامة على أساس أنها تنفي وجود شيء أو آخر .
ويضيف رسل إلى قائمة نظريته في الوجود تحليلاً آخر ، فإذا كنا لحد الآن نحلل قضايا تؤكد وجود بعض الأشياء ، مثال ذلك « يوجد عرب » ، فإن رسل يضيف عبارات أخرى هي ليست قضايا وليست أسماء ، بل هي عبارات وصفية تؤكد وجود شيء واحد مفرد مثال قولنا « رئيس الجمهورية العربية المتحدة » . ويمكن النظر إلى العبارات الوصفية على أساس أنها تدخل كأجزاء في قضايا ، ولا يمكن أن نقول عنها فيما إذا كانت صادقة أو كاذبة فهي على هذا الأساس لا تستقيم لوحدها وتبقى ناقصة إلا في حالة دخولها كجزء من قضية ، وهذه ميزة أساسية للرموز الناقصة « Incomplete Symbols » .^(١)

ناقش رسل هذه العبارات لأول مرة في مقالة المشهورة On Denoting عام ١٩٠٥^(٢) وأصبحت بعد ذلك من إنجازات رسل المنطقية المهمة . ولسكننا من الوجهة التاريخية نجد هذه الدراسة عند جوتلوب فريجه في مقالته المعروفة « حول المعنى والدلالة » المنشورة عام ١٨٨٢ ، وبالطبع توجد اختلافات بين النظريتين ، كما استفاد رسل من ما يتوحد في دراسته للعبارات الوصفية .

ويميز رسل بين العبارات الوصفية فيقسمها إلى نوعين : عبارات وصفية نامضة وعبارات وصفية محددة ، ويركز دراسته على النوع الثاني مستخدماً كلمة العبارة الوصفية لهذا النوع فقط . ويميز رسل في نظريته بين الاسم والعبارة الوصفية ، بينما نجد فريجه ينظر إلى الاسم على أساس أنه أي رمز يشير إلى شيء معين ، وهذا معناه أن العبارات الوصفية والقضايا عنده أسماء . ولتوضيح الفرق بين الاسم والعبارة الوصفية يجدر بنا أن ننظر إليها من ناحية الدلالة والناحية اللغوية ، فالاسم يطلق على شيء أو أنه يشير إلى شيء معين مثل «سقراط» ، أما العبارة الوصفية فليس ضرورياً أن تكون وصفاً لفرد ، بل يمكن أن تكون وصفاً لمحمول أو علاقة أو أي شيء آخر . فالعبارة الوصفية « مؤلف وأفريقي » وصف محدود ، وهي ليست اسماً ، لأن الاسم يشير إلى شيء واحد ليس صفة . والعبارة

1) Ibid , p: 215

2) Russell, B., My philosophical Development p 48

الوصفية ليست اسماً لانها رمز معقد ، بينما الاسم رمز بسيط . ولقد اظهر رسل براءة في بيان الاختلاف بين الاسم والعبارة الوصفية في حدود الذاتية ، فن المعروف في المنطق ان للذاتية صيغتان هما :

(١) عند ما يكون الشيء ، هو هو مثال ذلك $a = a$ او بتعبير آخر : سقراط هو سقراط او سكوت هو سكوت .

(٢) عندما يكون الشيء ، مساوياً لشيء ، آخر مثال ذلك $a = b$ وبتعبير آخر : سقراط هو استاذ افلاطون ، او سكوت هو مؤلف واغزلي .

لقد تطرق لهذه الذاتية جو ثلوب فريجه في بداية بحثه « حول المعنى الدلالة » وانتهى الى نتيجة لا يتفق معها رسل هي ان الذاتية في الحالتين هي بين رموز لاشياء^(١) والسبب في وصوله الى هذه النتيجة هو اعتبار العبارة الوصفية اسم . اما بالنسبة لرسل فهناك اختلاف بين الصيغة الاولى للذاتية والصيغة الثانية . فالقضية سقراط هو سقراط متعادلة Tautology ، لانها صادقة دائماً وان صدقها لا يعتمد على معرفتنا بما تحبر عنه ، بينما القضية الثانية وهي سكوت هو مؤلف واغزلي ، فاننا نحتاج لاثبات صدقها الى معرفة خاصة للتعريف فيما اذا كان حقاً ان سكوت هو مؤلف واغزلي ، وذلك لان العلاقة بين سكوت ومؤلف واغزلي هي بين اسم وعبارة وصفية وليست بين اسمين كما في الحالة السابقة .

ويحلل رسل العبارة الوصفية مطبقاً نظريته في التحليل المنطقي ، فالعبارة مؤلف واغزلي لا يمكن تجزئتها الى اجزاء او عبارات صغيرة منفصلة كما نعمل بالنسبة للقضية ، وذلك لأن هذه العبارة معقدة وتحتاج الى تحليل دقيق ، لا سيما وانها تعبر عن دالة قضية . ويمكننا النظر الى العبارة الوصفية من ناحية دلالتها ، فهناك عبارات وصفية لا تشير الى شيء موجود ، وعبارات وصفية تدل على شيء موجود^(٢) ، فالعبارة « رئيس الجمهورية العربية المتحدة » والعبارة « ملك سوريا الحالي » تختلفان في الدلالة ، فالاولى تدل على شخص واحد هو « جمال عبد الناصر » ، بينما العبارة الثانية لا وجود لشيء تشير اليه . وللتثبت

1) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung - Über Sinn und Bedeutung - P, 38

2) Russell, B., Logic and Knowledge P, 41

من وجود الشيء الذي تدل عليه العبارة ينتقل التحليل الى دالة القضية بالشكل الآتي :

ان العبارة التي نحللها هي « مؤلف وافرلي موجود » التي يعتمد صدقها على صدق العبارات المكونة لها ، وهذه العبارات هي : « اكتب وافرلي » وان مؤلف وافرلي هو الشخص الذي كتب وافرلي ا

ولكي نتثبت من وجود مؤلف وافرلي يجب ان تكون الدالة صادقة لشخص واحد على الاقل هو ا ، ويجب ان تكون صادقة لشخص واحد على الاكثر . فاذا لم يكن شخص موجود كتب وافرلي فان المؤلف غير موجود ، واذا كان اكثر من واحد ، فان المؤلف لم يعد موجود كذلك (1) . وهكذا يرتبط وجود الشيء في العبارة الوصفية بدالة ، بينما لا تقوم بتحليل مشابه في حالة القضايا البسيطة . وفي هذه الحالة تبرز اهمية التحليل في التثبت من وجود الاشياء بطريقة تختلف عن طريقة فلاسفة المثالية . وترتبط العبارات الوصفية بنظرية المعرفة المعروفة « المعرفة بالوصف » knowledge by description ، وتظهر اهمية التحليل لهذه العبارات عندما نعرف ان معظم معارفنا وصفية سواء كانت هذه المعرفة في حقل العلوم الانسانية او العلوم الطبيعية .

ان الفلسفة التي يدافع عنها رسل هي تلك التي تؤمن بوجود المفردات وتنفي وجود وحدات اخرى كذلك التي تكلم عنها فلاسفة الميتافيزيقا ، فالوحدات في فلسفة ليبنتز هي مفردات ، ولكنها بطبيعة الحال تختلف عن المفردات التي يتخذها رسل اساساً في فلسفته لان مفرداته تجريبية ، وليست ميتافيزيقية . وفي نظرية رسل وجدنا تأكيده الدائم على دور المفردات والوقائع البسيطة في بناء العالم ، وفي تحليله العبارة الوصفية نجده يتحدث عن وجود شيء مفرد . والتحليل الذي تبناه رسل يختلف طريقته باختلاف المستوى ، فلقد اكد ان العبارات الوصفية ما هي الا رموز ناقصة لا معنى لها اذا بقيت منعزلة ، ولكنه في الوقت نفسه لا يقتصر على ذكر العبارات الوصفية وحدها كرموز ناقصة ، بل يعتبر الصفات رموزاً ناقصة ، وهذا الموقف يقودنا الى تحليل الصفات واختلاف مستوياتها ، والبحث فيما اذا كان لها وجود او انها مجرد تراكيب منطقية وغير واقعية Fiction . ان هذا التحليل يرتبط بنظرية الانماط المنطقية (1) ، باعتبارها الدليل الذي غير به بين الصفات

1) Ibid , p : 254

من جهة، وطريقة منطقية لحل المتناقضات التي تظهر في عالم الرياضيات والمنطق والفلسفة من جهة أخرى . لقد سبق ان ذكرنا ان المتناقضات تظهر عندما نطلق صفة تختص بذلك الشيء الذي نطلقها عليه كما ان هذه المتناقضات تظهر في الحياة اليومية نتيجة لعدم التمييز بين مستويات المحمولات المختلفة . فاذا قلت مثلاً « ان جميع القضايا كاذبة » فإني لا اقول الصدق ، لان القضية التي استعملتها تقع ضمن فئة القضايا التي وصفها بالكذب . فاذا كنت اقول الصدق فإني كاذب بحكم القضية ، واذا كنت اريد الكذب فإني اقول الصدق . وهكذا يظهر التناقض بشكل واضح .

ان نظرية الانعاط المنطقية هي نظرية رموز وليست نظرية أشياء ، لذلك من الضروري ان يكون التمييز بين الرموز اساساً لحل المتناقضات . فمن الاشياء الفلسفية التي تؤدي الى حدوث المشكلات هو عدم التمييز بين المفرد والمئة وبين الفئة وفئة أخرى . لذلك تكون الخطوة الاولى هي التمييز بين المفردات والفئات . فالمفردة التي تضم مفردات لا يمكن ان تكون مفرداً كذلك ، وهذا معناه ان الفئة لا يمكن ان تكون عضواً في الفئة ذاتها ولتوضيح هذه الحقيقة نأخذ المثل الآتي : ان فئة جميع البشر ليست عضواً في فئة بشر ، بدليل انها ليست مخلوقاً بشرياً . وفئة جميع السكتب هي ليست عضواً في فئة السكتب ، بدليل انها ليست كتاباً . ولسكننا اذا انتقلنا الى أمثلة أعقد بقليل نحصل على تناقضات ، فاذا اعتبرنا الفئة شيئاً مثلاً والمفردات اشياء في العالم الخارجي ، وكانت الفئة تضم اشياء ، فان الفئة باعتبارها شيئاً تضم ذاتها وعندئذ تقع في تناقض . ويبدو الأمر أكثر وضوحاً اذا نظرنا الى التناقض من خلال الفئة العامة ، فالفئة العامة فئة تحتوي على جميع الفئات ، فهي على هذا الأساس باعتبارها فئة عضو في الفئة ذاتها . وللحصول على التناقض نفترض :

ا - ان الفئة العامة عضو في ذاتها ، وبذلك تكون من تلك الفئات التي هي ليست عضواً في ذاتها .. وهكذا تصبح ليست عضواً في ذاتها .

ب - ان الفئة العامة ليست عضواً في ذاتها ، وبذلك تكون ليست فئة من تلك الفئات التي ليست عضواً في ذاتها ، وبعبارة أخرى انها فئة من تلك الفئات التي هي اعضاء في ذاتها .. فهي اذن عضو في ذاتها .

وفي الحالتين لدينا تناقض .

لحل هذا التناقض يستعين رسل بنظرية الأنماط المنطقية ونظرية الرموز الناقصة ، فهو يرى ان المسألة كلها فيما اذا كانت الفئة عضواً أم ليست عضواً في ذاتها لا معنى لها ، لأن المفهوم ناقص ، وان الرمز الناقص ليس له معنى لو حده ، وانه إذا دخل في قضية يفسد ميزته الاساسية . اما بالنسبة لنظرية الأنماط المنطقية فان رسل يرى ان تميز بين المستويات ، فلا تخلط بين المفردات والفئات ، وبين الفئات فيما بينها . وعلينا أن ننظر الى المفردات والفئات تبعاً للتدرج الآتي : —

١ — فئة تحتوي على افراد ، وتميز هذه الفئة انها النمط الأول من الفئات باعتبارها تحتوي على اشياء دون الفئات .

٢ — فئة تحتوي على فئات هي بدورها تحتوي على افراد [فئات من النمط الأول] وتميز هذه الفئة انها النمط الثاني من الفئات ، وتختلف اختلافاً جوهرياً عن فئات النمط الأول ، فلا يمكن أن تكون فئة النمط الثاني عضواً في فئة تضم فئات من النمط الأول .

٣ — فئة تحتوي على فئات هي بدورها تحتوي على فئات تحتوي على افراد [وبعبارة أخرى : فئة لفئات لفئات] ، وتميز هذه الفئة انها النمط الثالث وتختلف عن الفئات من النمط الثاني والأول ، ولا يصح ان تكون عضواً في فئة تحتوي فئات من النمط الثاني أو الأول .

ويرى رسل ان الفئات غير واقعية ، وان المفردات هي وحدها واقعية ، وعليه يجب ان تميز بين الموجودات ، فلا نعتبر الفئات ضمن الموجودات في العالم الخارجي أو اشياء ، لأن ذلك يقودنا الى مشكلات ميتافيزيقية وتناقضات .

وأخيراً نود أن نناقش نظرية رسل في الذرية المنطقية من زاويتين : —

١ — لا شك ان رسل في تقريره اهمية هذه النظرية في حل المشكلات الفلسفية انما يعتمد على حقيقة هامة هي ان سبب وقوع الفلاسفة في اخطاء أو ميتافيزيقا هو كونهم يجربون قواعد اللغة ، ولا اعني بقواعد اللغة ما هو معروف عند النحويين ، بل نقصد بها المبادئ والاستعمالات الصحيحة للكلمات والعبارات والتميز بين مستويات الاشياء التي تحدث عنها . ونظرية الذرية المنطقية كما شرحناها ترسم لنا قواعد فلسفية ضرورية ، فهي من هذه الناحية نظرية في منطق المعرفة واللغة ، تعالج المشكلات وتبين الاخطاء الاساسية التي أدت الى ظهور هذه المشكلات . لذلك يمكننا اعتبار هذه النظرية معمولاً

لهدم النظريات الميتافيزيقية والوقوف ضدها بتحليل دقيق لقضاياها وبيان عدم جدوى الأشياء التي تبحث عنها .

٢ — ان نظرية الذرية المنطقية لم تكن لتوجد اذا افترضنا ابتعاد رسل عن نظريته في منطق الرياضيات . والسبب الأساسي لذلك هو ان هذه النظرية ماهي الا تطبيق عملي في حقل المعرفة الفلسفية والعلمية للغة المنطقية الرمزية الدقيقة التي صاغها رسل في بحوثه المنطقية ، وفي « اصول الرياضيات » بصورة خاصة .

لقد حقق رسل بذلك حلم لينتز في بناء لغة عامة تقوم بالتعبير عن المفاهيم والمبادئ الفلسفية لحل المنازعات الناشئة بين الفلاسفة . ولكن لا بد لنا من تحليل هذه المحاولة على ضوء محاولات سابقة ، فمن المعروف ان الفلاسفة منذ أيام فيثاغوراس يحاولون بناء العالم تبعاً لطريقة معينة ، فالفيثاغوريون نظروا الى العالم من خلال هندستهم وحسابهم ، ونظر الفلاسفة التجريبيون امثال لوك الى العالم من خلال طريقة الميكانيكية ، ونظر هيغل الى العالم من خلال منطق ميتافيزيقي . ان رسل ينظر الى العالم من خلال المنطق الرياضي ، محاولاً تطبيقه على العالم أو بناء العالم تبعاً له . وهو في ذلك انما يفترض سلفاً ما يجب ان يكون العالم دون ان يدرس العالم بما هو كائن . فجاءت نظريته الذرية للعالم متفقة مع منطقته . وهو في عمله هذا يقيم ميتافيزيقا من نوع جديد تختلف عن النظريات الميتافيزيقية الأخرى من حيث اعتمادها على صور علمية ومنطقية ورياضية . ولكن هذه الميتافيزيقا قد تكون ضرورية حتى في حقول العلم ، ولا يمكن اعتبارها في مستوى النظريات الميتافيزيقية القديمة ، لان العلم الفيزيائي مثلاً يستخدم طريقة شبيهة بطريقة رسل من حيث بناء نظام استدلالى معتمداً على تجارب قليلة ، واستنتاج حقائق هامة تقيّد العلم ، وهذا النظام الاستدلالى يعين العالم على معرفة العالم المادي واحداثه ، لأنه يصور لنا العالم الخارجي بشكل معين ومنظم تتتابع احداثه وفواهره تبعاً للقضايا المفترضة في النظام الاستدلالى .

باسم خليل